

ظاهرة التحويل في النحو العربي على ضوء اللسانيات المعاصرة

عبد العليم بو فاتح *

ملخص:

ظاهرة التحويل من أبرز ما تتميز به النظرية التوليدية التحويلية التي جاء بها نعوم تشومسكي (Noam Chomsky) وتتجلى هذه الظاهرة بوضوح في النحو العربي، مع اختلاف المصطلح وطريقة تناولها؛ إذ يتم الانتقال من البنية العميقة (deep structure) في الجملة النواة إلى البنية السطحية (surface structure) التي تمثل تنوعات الكلام بتعدد الأنماط التركيبية، وذلك عبر عدة مظاهر كالحذف والزيادة والتقديم والتأخير ونيابة ألفاظ عن أخرى وانتقال الدلالة.. وغيرها من أنماط التحويل على ضوء ما جاء في النظرية اللسانية المعاصرة. كما نجد لدى نحاة العربية كثيرا من الإشارات الدالة على عنايتهم بدراسة التراكيب ودلالاتها، وما يختص بعملية التواصل وآلياته..

الكلمات المفتاحية: النحو، العربي، المستوى، التركيبي، التحويل، البنية، الجملة، تشومسكي.

TRANSFORMATION PHENOMEN IN ARABIC GRAMMAR WITHIN CONTEMPORARY LINGUISTICS

Abstract

Transformation phenomenon is one of the main characteristics of Chomsky's transformational theory. His theory is clearly seen in Arabic Grammar, with a difference in the concept and in the way it is dealt with. Thus the transition is made from the deep structure which the core sentence to the surface structure which represents varieties of speech with different structural modes. This process is done through several aspects such as omission, addition, moving words forward and backward, substitution of words, moving the connotation, and other transformation modes according to the contemporary linguistic theory. We find that Arabic grammarians pay a great attention to the study of

structures and their connotations in addition to the process of communication and its mechanisms.

Keywords: Grammar, Arabic, Level, Structural, Transformation, Structure, Sentence, Chomsky.

ÇAĞDAŞ DILBİLİM IŞIĞINDA ARAP DİLİ GRAMERİNDE ÜRETİCİ-DÖNÜŞÜMSEL OLGU

Öz

Üretici-dönüşümsel dil olgusu Noam Chomsky'nin ortaya attığı üretici dil bilgisi veya dönüşümsel dil bilgisi kuramının en önemli tarafını oluşturmaktadır. Kavramlar ve işleme yöntemi değişse de bu durum Arap dili gramerinde de kendini göstermekte ve dönüşüm, özü oluşturan derin yapıdan farklı terkipler yoluyla üzerinde çok sayıda sözün meydana geldiği yüzeysel yapıya ulaşarak sağlanmaktadır. Bu durum silme, katma, cümledeki öğelerin yer değiştirmesi, lafızların birbiri yerine kullanılması ve anlamın taşınması gibi modern dilbilim kuramının öngördüğü üretici-dönüşümsel yapılarda değişiklikler yaparak gerçekleşmektedir. Aynı şekilde Arap dilcilerinin yapı ve anlamları ile iletişim süreci ve mekanizmaları üzerine çok sayıda çalışma yaptıklarını da biliyoruz.

Anahtar Kelimeler: Nahiv, Arapça, Seviye, Terkip, Dönüşüm, Yapı, Cümle, Chomsky.

تمهيد :

لقد بلغ النحو العربي غايته من الاكتمال والتوضيح منذ كتاب سيبويه (Sebawayh) (ت 180 هـ) حتى جعل العلماء علم النحو من العلوم التي نضجت حتى احترقت. فقد جمع صاحب الكتاب، ومن سار على نهجه، أصول هذا العلم التي تبدأ من المنقول عن كلام العرب (السماع) وتمر بإثراء اللغة وتطويرها عن طريق (القياس) وتقوم هذه الأصول على أساس العلاقات القائمة بين أجزاء الكلام ووحداته فيما يسمّى عند النحاة بـ (العامل). وهذه المعايير الثلاثة تمثل المنهج العلمي الذي تقوم عليه نظرية النحوي العربي.. وبهذا كانت النظرية النحوية منطلقها الوصف وأساسها القواعد المنهجية التي تمسك بها النحاة وأجمعوا عليها، على الرغم من تباينهم في بعض جوانبها..

ومّا يميّز نظرية النحو العربي أن القاعدة النظرية فيها تقترن بالمثال التطبيقي، الذي هو الأتمودج المستمد من الواقع التواصلية في البيئة اللغوية العربية، وفي هذا يتجلى اتصال اللغة المتداولية بحياة العرب وواقعهم، وتحقق فكرة اجتماعية اللغة..

ولعل كتاب سيبويه (Sebawayh) الذي يمثل النموذج الحي للنظرية النحوية العربية هو أفضل مثال عن هذه الخصائص العلمية والأسس المنهجية التي تميزت بها نظرية النحو العربي..

تطور مفهوم النحو بين القدماء والمحدثين:

نستهل هذا المقال بالحديث عن مفهوم النحو على اعتبار أنه موضوع الدراسة التي تناولها وأصل مادتها. ونستأنس بما قاله ابن جني (Ibn Djenni) في عبارته الشافية بأن النحو هو "انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، كالثنية والجمع والتحقيق والتكسير والإضافة والنسب والتركيب، وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها، وإن لم يكن منهم، وإن شذّ بعضهم عنها ردّ به إليها. وهو في الأصل مصدر شائع، أي: نحوت نحوا: كقولك: قصدت قصدا، ثم خصّ به انتحاء هذا القبيل من العلم." (1)

فالنحو عند ابن جني (Ibn Djenni) هو الكلام الصحيح السليم من اللحن، على طريقة العرب وسجيتهم. وهو في نظره يعلم المستعربين ليكونوا مثل العرب في الفصاحة والبلاغة. وقد شمل تعريف ابن جني (Ibn Djenni) للنحو عدة فروع من علوم العربية كالدراسة الصرفية والدراسة الصوتية والدراسة التركيبية، وغيرها ..

ولم يستقرّ النحاة وعلماء اللغة على تعريف واحد للنحو، فمن الباحثين من يرى أنه يجب "أن تشتمل القواعد النحوية على أساليب اللغة من جميع جوانبها، ومنهم من يقصرها على ضبط أواخر الكلمات ومعرفة بنيتها واشتقاقها وتصرفها ولعلّ منشأ هذا الخلاف في تحديد دائرة النحو راجع إلى صلة هذا العلم بالفروع الثقافية العربية الأخرى، فإنّ علم النحو هو فرع من علوم العربية." (2)

وأما النظرة العميقة لحقيقة النحو فهي تلك التي خرج بها الجرجاني (Abdul Qahir Al-Jorjani) في نظرية النظم عنده، إذ أحاط بحقيقة هذا العلم، ونظر إليه نظرة حديثة في زمنه القديم، عندما أكد "أن نظم الكلام يقتضى فيه آثار المعاني وترتيبها حسب ترتب المعاني في النفس وليس النظم في مجمل الأمر عنده إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه فلا تزيغ عنها فمداره على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه، وليس هو إلاّ توخي معاني النحو في معاني الكلم، فلا معنى للنظم غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين

1 - ابن جني: الخصائص، بتحقيق محمد علي النجار - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان (د.ت)، 34/1

2 - عبد العزيز عتيق: المدخل إلى علم النحو والصرف: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ط (1990)، ص 135

الكلم.. والفكر لا يتعلق بمعاني الكلم المفردة مجردة عن معاني النحو، أو منطوقا بما على وجه لا يتأتى معه تقدير معاني النحو وتوحيها فيها." (3)

فالنحو على هذا هو نظم تنسجم فيه الكلمات وفق نظام محكم وقواعد منظمة لتؤلف جملا ذات معان تعبر عن مراد المتكلم وتبلغ فكرته كاملة للسامع وفق سياقات معينة. لأنّ " معرفة مادة الكلمة وأصلها الاشتقاقي والصيغة التي صيغت بها لا تكفي غالبا لتحديد معناها تحديدا تاما دقيقا.. ولهذا كان للسياق قيمة في تحديد المعاني وفهم الكلام." (4)

والنحو عند المحدثين هو " دراسة العلاقات التي تربط بين الكلمات في الجملة الواحدة وبيان وظائفها ، وهو لبّ الدراسات اللغوية على اعتبار أنه قلب الأنظمة اللغوية جميعها فهو الذي يصل بين الأصوات والمعاني . والنحو أكثر ملامح اللغة نبضا بالحياة. وهو من الوسائل التي لولاهما لما استطاع البشر التفاهم أبدا ، بل هو القوة المحركة التي تسمح لنا بالتكلم وفهم مئات الجمل الجديدة كل يوم ، والتي لم نسمعها من قبل ، فالنحو وسيلة نحو التفسير النهائي لتعقيدات التركيب اللغوي ... وله دور كبير في توضيح النص وتفسيره وإنارته. والنحو - كما قد يظن كثير من الناس - ليس هو الإعراب، وإنما هو معنى عام يشمل كل ماله صلة بالتركيب شكلا أو مضمونا..." (5)

أما الإعراب فمهمته تختلف عن النحو إذ إنه جزء منه وليس هو كلّ. غير أننا لا ننظر إليه تلك النظرة الشكلية العقيمة التي جنّت عليه وجلبت له السخط فقد نظر إليه بعض الباحثين على أنه مجرد " وسيلة تفكيك الجملة إلى قوالب وأجزاء مية لا حياة فيها .. وإذا ما قرأنا ما يقوله بعض اللغويين العرب القدماء "الإعراب فرع المعنى" فإننا نرى أن على القارئ المعرب أو المحلل المفكك أن لا يبدأ بتحليل الجملة إلا بعد أن يعرف معناها.. إذ إنّ الإعراب وسيلة من وسائل المعنى وخدام من خدمه." (6) إنّنا ننظر إلى الإعراب من حيث كونه وسيلة للإيضاح عن المعنى والإيضاح للمقاصد. ونحن نستمد مفهومه في ذلك من معناه اللغوي المرادف للإبانة والوضوح. وإنّ قول النحاة " الإعراب فرع المعنى " هو قاعدة ذهبية، لكنهم لم يهتموا كما يعتقد البعض من المحدثين. بل لقد تمثّلوا من خلال تعاملهم مع المادة اللغوية في تحليلاتهم المختلفة.

النحو والمستوى التركيبي :

3 - عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة - تح : محمد عبد المنعم خفاجي/مكتبة القاهرة / ط3 (1399هـ/1979م) 80/1

4 - محمد المبارك : فقه اللغة وخصائص العربية - دار الفكر - ط7 (1401هـ/ 1981 م) 182-183

5 - عاطف مدكور: علم اللغة بين القديم والحديث : دار الثقافة للنشر والتوزيع - مصر (1986م) ، 173 - 176

6 - خليل أحمد عمارة: في نحو اللغة وتراكيبها (منهج وتطبيق): عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة ، المملكة العربية السعودية، ط1 (1404هـ/1984م) ، ص 28

إنّ الكلام عن النحو هو كلام عن المستوى التركيبي (Syntaxe) في الدراسات اللغوية الحديثة. وهذا المصطلح (تركيب) أطلقه دي سوسور " على كل علاقة بين الوحدات داخل السلسلة الكلامية. وهذا التحديد عمل به اللسانيون من بعده، ومنهم أندريه مارتنيه الذي يطلق هذا المصطلح على كل العلاقات الحاصلة بين الوحدات الدالّة." (7) وفي هذا المستوى " يقوم الباحث بالتركيز على الجملة وتركيبها، وما يطرأ عليها من تقديم وتأخير وحذف وزيادة وغير ذلك . ويبدو أن معظم علماء اللغة العربية القدماء وكثيرين من المحدثين ينظرون إلى النحو على أنه هو علم اللغة ... ومما هو بيّن واضح أنّ التركيز على المادة النحوية بقواعدها وقوانينها وتطبيقاتها عند كثير من الدارسين القدماء والمحدثين ، جعلها تكون بمثابة الرديف لمصطلح علم اللغة ودراسته. (8)

لكنّ النحو، كما يرى تشومسكي (Noam Chomsky) " يتناول المبادئ والعمليات التي بها تبنى الجمل في اللغات المختلفة وتهدف الدراسة النحوية للغة ما إلى بناء نظام للقواعد يمكن اعتباره وسيلة من وسائل إنتاج جمل اللغة التي قيد التحليل." (9) والنحو عنده ليس تحليلاً للجملة في شكلها النظمي فحسب، ولكنه الوصف الشامل للغة، أي أنه يشمل الفونولوجيا، والنظم والدلالة. (10)

فالنحو إذاً هو دراسة الجمل وتحليلها في مختلف اللغات قصد إيجاد نظام معين يندرج فيه استعمال هذه اللغة . والنحو " هو المحور الأساس في اللغة لمعرفة المعاني التي في الجمل ولمعرفة الأبواب التي تنتمي إليها الجمل أو تصنف فيها. ومهمة النحو أن يعطي مجموعة من القواعد الخاصة بالكلمة وارتباطها مع غيرها في الجملة وارتباط الجملة بغيرها من جمل النص اللغوي ، مبنية على استقراء واسع للغة." (11)

وقد حظيت الدراسة التركيبية بعناية علماء العربية من نحاة وبلاغيين ومفسّرين وغيرهم إذ " ليس الغرض من الوضع إفادة المعاني المفردة بل الغرض إفادة المركّبات والنسب بين المفردات كالفاعلية والمفعولية وغيرها.. " (12)

Jean Dubois et autres : Dictionnaire de Linguistique P. 478 - 7

8 - في نحو اللغة وتراكيبها : 26-27

9 - نعوم تشومسكي: البنى النحوية : دار الشؤون الثقافية العامة، (1987) ، ص 13

10 - عبده الراجحي : النحو العربي والدرس الحديث: دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت (1979م) ، ص 127

11 - في نحو اللغة وتراكيبها : 28

12 - السيوطي : المزهري في علوم اللغة وأنواعها: طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (د.ت) ص 41/1 .

وأشار ابن جني (Ibn Djenni) إلى الدلالة النحوية من خلال كلامه عن الفرق بين رفع الفاعل ونائبه ونصب المفعول (13) فبيّن ذلك انطلاقاً من موقع الكلمة داخل التركيب وما يوجد من علاقة بينها وبين غيرها من الكلمات المجاورة لها. فرفع الفاعل ناتج عن معنى الفاعلية وإسناد الفعل إليه. ومعنى النيابة عن الفاعلية ناتج عن وجود المرفوع بعد الفعل بالنيابة. والمراد بالنيابة هو أنّ نائب الفاعل أخذ موضع الفاعل لا معناه. فهي في الحقيقة نيابة موضعية لا معنوية، لأنّ الإسناد، وهو قائم عن المعنى، لم يتم لنائب الفاعل، وإنما هو لفاعل غير مذكور في التركيب، سواء أكان معلوماً أم مجهولاً. ذلك أنّ نائب الفاعل هو مفعول به في المعنى إذا عدنا إلى أصل التركيب..

وإذا كان مدار معاني الجمل على ما بين وحداتها من علاقات؛ ومدار معاني النصوص على ارتباط الجمل فيما بينها، فإن هذه القضية مما شُغِلَ به القدماء وعُنُوا به، ومنهم ابن القيم الذي اخترنا نماذج من دراساته التركيبية. إذ وجدناه يتعرّض لمختلف التراكيب كالجمل الاسمية والفعلية والشرطية والظرفية .. وما يعتري هذه التراكيب من تغيير أو زيادة أو حذف وما إلى ذلك ممّا سنعرض له فيما يأتي :

من البنية العميقة (deep structure) إلى البنية السطحية (surface structure) :

البنية العميقة والبنية السطحية هي ما تميّز به تشومسكي (Noam Chomsky) في النظرية التوليدية التحليلية. وهي ذات علاقة بالدرس التركيبي النحوي في العربية. فالبنية العميقة (deep structure) هي الفكرة المجردة الموجودة في ذهن المتكلم ، أو هي عبارة عن معنى محدّد مستقرّ في الذهن. لكنه مرتبط بتركيب مؤلّف من عدة مفردات مترابطة فيما بينها. وهذا التركيب يدلّ على تلك الفكرة وذلك المعنى الكامن في الذهن.. وتظهر طبيعة هذا الترابط بين المفردات أثناء النطق بها في شكل تركيب صوتي إذا كان التواصل قائماً على السمع. أو تجسيدها كتابياً في شكل تركيب خطّي إذا كان التواصل قائماً على الكتابة. وقد يجتمعان معاً. وهذا ما أطلق عليه تشومسكي (Noam Chomsky) البنية السطحية (surface structure) .

ولقد تحدث ابن جني (Ibn Djenni) في أكثر من موضع عن هذه الفكرة ، فمن ذلك قوله : " ... هذا الظاهر مماس لذلك الباطن، كل جزء منه منطو عليه، ومحيط به." (14) فمصطلح (الظاهر والباطن) يشير إلى ما أصبح يسمى في الدراسات اللسانية المعاصرة (البنية العميقة (deep structure) والبنية السطحية (surface structure))

13 - ينظر: الخصائص: 184/1.

14 - المصدر نفسه: 2 / 476.

(structure) ؛ كما تحدث عن كون : " المحذوف للدلالة عليه عندك بمنزلة الظاهر."⁽¹⁵⁾ وفي قوله (المحذوف والظاهر) كذلك دلالة على وجود فكرة تشومسكي في التفكير النحوي العربي القديم..

وبحسب ما يكون نمط التركيب يكون التعبير عنه، أي أنّ البنية السطحية (surface structure) تابعة للبنية العميقة. فإذا نوى المتكلم تقديم جزء من الكلام أو تأخيره فإنّ هذا يكون على مستوى الذهن، ثم ينتقل إلى التعبير الخارجي عن طريق البنية السطحية (surface structure). وعلى هذا فالأصل الأول في الكلام هو الفكرة أو المعنى، ثم يأتي الصوت أو الخط لتجسيد هذه الفكرة الأصل؛ وهذا التجسيد هو ما يقع فيه الاختلاف والتباين، إذ يتم الانطلاق من اللغة التي هي قوانين وأحكام متفق عليها بين المتكلمين، إلى الكلام الذي هو تجسيد لهذه القواعد وأحكام والقوانين.. وهذه الفكرة هي التي أثارها عبد القاهر الجرجاني (Abdul Qahir Al-Jorjani) عندما تحدث عن النظم الذي يبدأ من ترتيب المعاني الكامنة في نفس المتكلم، ثم يتحول إلى التعبير عن هذه المعاني بالألفاظ مرتبةً وفق ترتيب المعاني.

ويمكن أن نعبر عن هذا باللغة والكلام، وهي الثنائية التي ميّز فيها دي سوسور بين ما هو جماعي وتمثله اللغة، وما هو فردي ويمثله الكلام. فنقول بأنّ البنية العميقة (deep structure) تمثل اللغة التي يتم الاتفاق عليها بين المستعملين للغة الواحدة، لأنهم يستعملونها وفق قواعدها وقوانينها وسننها وأحكامها المتعارف عليها فيما بينهم..

أما البنية السطحية (surface structure) فتمثل الكلام الذي يعتبر أداءً للغة يختلف بين فرد وآخر، وقد يتفق فيه اثنان أو أكثر، لكنّ هذا الاتفاق لا يكون إلا مصادفة إذ الأصل فيه التباين والاختلاف.. كما أنّ البنية العميقة (deep structure) في التركيب تتصل الجملة التوليدية، على حين أنّ البنية السطحية (surface structure) تتصل بالجملة التحويلية. والجملة التحويلية تكون في التركيب العربي بتقديم بعض عناصره على بعض، أو بحذف بعض عناصره الأصلية وتقديرها، أو بالزيادة عليها، أو غير ذلك من أشكال التعبير على مستوى البنية السطحية (surface structure)..

نستنتج إذًا أنّ العملية اللغوية هي عملية فطرية مصدرها العقل. وأنّ التواصل والتفاهم يتم بين البشر انطلاقاً من الاستعدادات العقلية الموجودة لدى كل من المتكلم والسماع سواء أعلق الأمر بقدرته المتكلم على إنتاج اللغة أم بقدرته السامع

على فهم ما يتلقاه من المتكلم. فلا استعداد الفطري يتجلى لدى الطرفين من خلال التواصل بينهما.. لكن ذلك لا ينفك عن اللغة المشتركة بينهما وفق قوانين وأحكام هذه اللغة..

من المستوى النحوي إلى المستوى الدلالي :

عندما نتصفح مؤلفات علماء العربية نعثر على كثير من إشاراتهم الدالة على عنايتهم بدراسة التراكيب من خلال العلاقات القائمة بين أجزائها، وما يوجد من تكامل بين ألفاظها وما تحمله من الدلالات. أي أنّ دراستهم للغة كانت دراسة تركيبية دلالية. ونستطيع أن نتبين ذلك من خلال أفكارهم النظرية المشفوعة بالأمثلة والنماذج التطبيقية..

لقد جعل سيبويه (Sebawayh) الكلام أقساماً خمسة هي: المستقيم الحسن كقولنا (أتيتك أمس) والمحال كقولنا (أتيتك غداً) والمستقيم الكذب كقولنا (حملت الجبل) والمستقيم القبيح كقولنا (قد زيداً رأيت) والمحال الكذب كقولنا (سوف أشرب ماء البحر أمس).⁽¹⁶⁾ " فهو يجعل مدار الكلام على تأليف العبارة وما فيها من حسن أو قبح واستقامة واستحالة، والمعنى وما فيه من صدق وكذب... فكل خلل يصيب العبارة في تنسيقها أو المعنى في استقامته يكون داعية لنقصانه عندما نزنه بميزان البلاغة. " ⁽¹⁷⁾

ومن هذا التقسيم التركيبي الذي يمزج فيه سيبويه (Sebawayh) بين المستوى النحوي والمستوى الدلالي نستطيع تبيان أهمية العلاقة بين المفردات داخل التركيب من جانبين:

أولهما جانب اختيار المفردات بحسب دلالتها المعجمية لما لها من قيمة في المعنى الدلالي. إذ ليست كل كلمة تؤدي المعنى المراد التعبير عنه. فعندما يُساء اختيار الكلمة المناسبة يختلّ التعبير ويفسد المعنى، ومثال ذلك قولنا: (أتيتك غداً) وهو ما عبّر عنه سيبويه (Sebawayh) بالكلام المحال. لأنّ لفظ الغد يدلّ على المستقبل في أصل وضعه فلا يجوز أن يقترن بلفظ الماضي، ذلك أنّ لفظ المستقبل يدل على ما هو متوقّع أمّا لفظ الماضي فيدلّ على ما هو محقق، وهما على طرفي نقيض، فلا يجوز الجمع بينهما في معنى واحد.

وثانيهما جانب اختيار موضع الكلمة للدلالة على معنى معيّن فإذا لم يحسن اختيارها فسد المعنى كذلك وهو ما عبّر عنه سيبويه (Sebawayh) بالكلام المستقيم القبيح كقولنا (قد زيداً رأيت). فلو قلنا: (قد رأيت زيداً) بتقديم الفعل (رأيت)

وتأخير المفعول (زيداً) لاستقام المعنى. لأنّ الفعل يأتي على إثر حرف التحقيق (قد) ولا يجوز الفصل بينهما.

16 - سيبويه: الكتاب: تحقيق: عبد السلام هارون- طبعة أولى - مكتبة الخانجي - القاهرة (د.ت) 25/1-26

17 - عبد القادر حسين: أثر النحاة في البحث البلاغي: دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع (1998) ص 110.

تتكون الجملة الاسمية من مسند إليه هو المبتدأ ومسند هو الخبر، والمسند (الخبر) فيها يأتي على عدة أنواع: مفرداً أو جملة أو شبه جملة فإذا كان جملة على رأي ابن القيم " فإما أن يكون نفس المبتدأ أو غيره، فإن كان نفس المبتدأ لم يحتاج إلى رابط يربطها به، إذ لا رابط أقوى من اتحادهما، نحو: " قولي الحمد لله. " وإن كانت غير المبتدأ فلا بد فيها من رابط يربطها بالمبتدأ لئلا يتوهم استقلالها وانقطاعها عن المبتدأ ، لأن الجملة ككلام قائم تام بنفسه، وذلك الرابط لا يتعين أن يكون ضميراً بل يجوز أن يكون ضميراً، وهو الأكثر؛ واسم إشارة كقوله تعالى { وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ } [الأعراف/26] وقوله تعالى { وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ } [الحديد/19] ونظائره كثيرة؛ واسما ظاهراً قائماً مقام الضمير كقوله تعالى { وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ } [الأعراف / 170]. وقد يستغنى عن الضمير إذا علم الرابط وعدم الاستقلال بالسياق . وباب هذا التفصيل بعد الجملة ، ففيه يقع الاستغناء عن الضمير كثيراً ، كقولك: المال لهؤلاء :لزيد درهم ولعمرو درهمان ولخالد ثلاثة . ومثله : الناس واحد في الجنة وواحد في النار. " (18)

فالخبر في تركيب الجملة الاسمية إذا كان جملة يكون على أحد نوعين باعتبار المعنى والدلالة: فأما الأول فهو أن يكون هذا الخبر نفس المبتدأ ، وعلى هذا فلا يحتاج إلى رابط يربطه به ويعود عليه ، لأنّ اتحادهما في المعنى أقوى رابط ، أما إذا كان الخبر غير المبتدأ فلا بدّ من وجود الرابط الذي يربطها (أي: الجملة) بالمبتدأ ويعود عليه . ويمكن الاستغناء عن الرابط إذا فهم من السياق أنّ الجملة خبر عما قبلها . وهنا يحتكم إلى المعنى في تحديد العلاقة بين المسند إليه (المبتدأ) والمسند (الخبر) عندما يكون جملة .

وأما إذا كان الخبر (المسند) اسماً مفرداً مشتقاً " فلا بد فيه من ضمير ، ولكن ليس الجالب لذلك الضمير ربطه بالمبتدأ بل الجالب له أنّ المشتق كالفعل في المعنى فلا بد له من فاعل ظاهر أو مضمّر " (19)

مظاهر التحويل في النحو العربي :

1- التحويل بتعدد مواضع الضمير :

18 - ابن قيم الجوزية: بدائع الفوائد : ضبط أحمد عبد السلام: دار الكتب العلمية- بيروت لبنان/ ط1 (1414هـ / 1994م) ضبط أحمد عبد السلام: دار الكتب العلمية-

بيروت لبنان/ ط1 (1414هـ / 1994م) 3 / 30 - 31

19 - المصدر نفسه: 3 / 31

من مظاهر التحويل في العربية تعدد مواضع الضمير، وتغيّر اشكاله تبعاً لتنوعات استعماله في الجملة، بحسب اختلاف النحاة في تقديراتهم حول بنية الجملة وتركيبها . فمذهب النحاة البصريين أنّ المسند إليه (الاسم) في بداية الجملة هو المبتدأ، والفعل بعده خير له، فالجملة عندهم جملة اسمية، وهذا ما يردّه بعض المحدثين⁽²⁰⁾ إذ يرون أن الجملة فعلية وليست اسمية وأنّ المسند إليه (الاسم) فاعل مقدم على فعله، كما في قولنا: "زيد قام" وهم في ذلك يأخذون بما قاله بعض الكوفيين من قبّل.

والراجح هو مذهب البصريين، وقد أخذ به جمهور العلماء من غير النحاة، فهذا ابن القيم يجعل فاعل الفعل (قام) هو الضمير الموجود في الفعل.. ولكن ما الدليل في رأيه على وجود هذا الضمير وهو غير ظاهر ولا مستمع؟ إنّ الذي يدل على ذلك عنده " هو تأكيدهم له وعطفهم عليه وإبدالهم منه. كقولك في التأكيد: إنّ زيدا سيقوم نفسه برفع (نفس)! وفي العطف كقوله تعالى { سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ } [المسد/3] فامرأته : رفع عطفًا على الضمير في (سيصلى) ؛ وفي الإبدال قولك : إنّ زيدا يعجبني علمه ، على أن يكون علمه بدل اشتمال لا فاعلا، فإذا كان المشتق مفردا كان الضمير الذي فيه اسما ، نحو: زيد يذهب، وزيد ذاهب ؛ سواء أكان الخبر فعلا أم اسماً..

وأما في التثنية والجمع فلا يكون الضمير إلّا في الأفعال، نحو: يذهبان، ويذهبون. وأما في الأسماء فإنه لا يكون فيها إذا ظهر إلّا علامة لا ضميرا، نحو: ذاهبان وذاهبون، فهما في الاسم حرفان، وفي الفعل اسمان ، برهان ذلك انقلابهما في الاسم ياء في التثنية والجمع كما ينقلبان فيما لا يتحمل ضميرا كالزبيدين والزبيدين، ولو كان ضميرا كهما في الفعل لبقيا على لفظ واحد كما تقول في الفعل : هؤلاء رجال يذهبون، ومررت برجال يذهبون، ورأيت رجالا يذهبون. وكذلك في التثنية سواء. فلا يتغير لفظ الواو لأنّها فاعل وليست علامة إعراب الفعل.

ولولا الدليل الذي ذكرناه لما عرف هذا أبدا.. " ⁽²¹⁾ فتقدير الضمير (فاعلا) في الفعل الواقع في خبر المبتدأ أمر يأخذ به ابن القيم كما أخذ به النحاة قبله ، غير أنه يعلل ذلك بكون هذا الضمير حرفا في الخبر إذا كان اسما كقولنا (زيد ذاهب) وكذا في المثني والجمع أما في الفعل فهو اسم كما في قولنا (زيد يذهب) ومثله في المثني والجمع، ودليل ذلك تغيّره في الاسم وثباته في الفعل.

2- التحويل بالتقديم والتأخير:

²⁰ - مثل الدكتور مهدي المخزومي الذي يستند في تقسيم الجملة إلى المسند لا إلى المسند إليه (أي أنّها تقوم عنده على وظيفة المسند) [ينظر : في النحو العربي : قواعد وتطبيق

يعد الترتيب من أبرز عناصر التحويل وأكثرها وضوحاً، لأن المتكلم يعمد إلى مورفيم حقه التأخير فيما جاء عن العرب فيقدمه أو إلى ما حقه التقديم فيؤخره طلباً لإظهار ترتيب المعاني في النفس. (22) وتختلف اللغات من حيث الترتيب الذي تخضع له وحداتها داخل التركيب. وهناك الترتيب الأصلي الأساسي والترتيب العارض لغرض ما. وهذا الترتيب (الأساسي) هو ما يقابل في نظرية تشومسكي (Noam Chomsky) مصطلح (البنية العميقة) (deep structure) التي تعني "الأساس (Substrat) البنائي المجرد الذي يحدد المحتوى المعنوي للجملة. وهو موجود في الذهن حين ترسل الجملة أو تتلقى. والبنية العميقة هي تلك الرموز التي تمثل المحتوى المعنوي للجملة بواسطة الرموز المجردة، وتصنف هذه الرموز العلاقات المعنوية الأساسية القائمة بين عناصر الظاهرة غير اللغوية التي تمثل الجملة الترجمة اللغوية لها..". (23)

فالبنية العميقة (deep structure) إذاً هي الفكرة التي تتشكل في ذهن المتكلم أو السامع، فهي لا تكون باللغة وإنما مستقرها الذهن، أما البنى السطحية عنده فهي "تخصّ تنظيم الجملة كظاهرة مادية.. وتهدف إلى التعبير على شكل تركيب صوتي عن العلاقات القواعدية المجردة الناتجة عن التركيب النحوي". (24)

وفي العربية حظيت قضية التقديم والتأخير باهتمام العلماء وقد "أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام وانقياده لهم وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق وقد اختلف في عدّه من المجاز، فمنهم من عدّه منه، لأنه تقديم ما رتبته التأخير كالمفعول، وتأخير ما رتبته التقديم كالفاعل.. والصحيح أنه ليس منه؛ فإنّ المجاز نقل ما وضع له إلى ما لم يوضع له". (25)

وابن القيم من العلماء الذين أفاضوا في الكلام عن التقديم والتأخير وترتيب الكلمات في الجملة. وقد تناول هذه القضية من جهة بيان المعنى الذي يكون التقديم لأجله، إذ يولي جانب المعنى أهمية كبيرة. كما أشار إلى علاقة ذلك بالمجاز. ومن جهة أخرى تكلم عن أقسامه. فهو يقول في الأول بأنهم "أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم للكلام وتصرفهم فيه على حكم ما يختارونه، وانقياده لهم لقوة ملكتهم فيه وفي معانيه، ثقة بصفاء أذهانهم. وغرضهم فيه أن يكون اللفظ وجيزاً بليغاً وله في النفوس حسن موقع وعذوبة مذاق.

22 - في نحو اللغة وتراكيبها . 88

23 - جورج مونان : علم اللغة في القرن العشرين : ترجمة : نجيب غزاوي وزارة التعليم العالي، سوريا (1982 م) . 202-203

24 - علم اللغة في القرن العشرين : 203

25 - الزركشي: البرهان في علوم القرآن : تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - المكتبة العصرية / صيدا - بيروت . 233/3.

أما الثاني فقال قوم : هو من المجاز لأن فيه تقديم ما رتبته التأخير كالمفعول وتأخير ما رتبته التقديم كالفاعل والمفعول به، في نقل كل واحد منهما. وقال قوم: ليس هو من المجاز لأنّ المجاز نقل مآ وضع له إلى مالم يوضع له" (26). وأما أقسامه فهي :

- ما يلزم فيه زيادة معنى كقوله تعالى { **وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** } [القيامة/22-23]. فالعنى الزائد هنا هو جودة انتظام الكلام. وقوله تعالى { **بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ** } [الزمر/66] فالعنى المراد هنا هو تخصيص المقدم المفعول (لفظ الجلالة) بالعبادة. وأمثلة ذلك كثيرة.

- مالا يلزم تقديمه زيادة في المعنى ، ومع ذلك يكون تقديمه أحسن ، وذلك لأمر يتعلق بالمتقدم والمتأخر كقوله تعالى { **فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ** } [النور/45] أو ما يكون لأمر خارج عنهما.

- مالا يلزم تقديمه زيادة في المعنى ويكون الأحسن تأخيره، فإذا قدم كان ذلك مفاضلة معنوية، كتقديم الصفة على الموصوف والعلة على المعلول، وهذا لا يمكن وروده في القرآن لركاكنه وسماجته ، كقول الشاعر: (27)

وليست خراسان التي كان خالد ** بها أسد إذ كان سيفاً أميرها (الطويل)

يريد أن خالد بن عبد الله كان قد ولي خراسان ووليها أسد بعده فمدح خالداً بأنه كان سيفاً بعد أن كان أسد أميرها فكأنه يقول وليست خراسان بالبلدة التي كان خالد بها سيفاً إذ كان أسد أميرها.

قال ابن الأثير (ت 637 هـ): وعلى هذا التقدير ففي كان الثانية ضمير الشأن والحديث والجملة بعدها خبر عنها وقد قدم بعض ما إذ مضافة إليه وهو أسد عليها وفي تقديم المضاف إليه أو شيء منه على المضاف من القبح مالا خفاء به.

- ما يتكافأ تقديمه وتأخيره كالحال : جاء راكبا زيد، أو : جاء زيد راكبا، وفي القرآن منه قوله تعالى { **فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ** } [الأعلى/5] والتقدير : فجعله أحوى غثاء... (28)

هذا الكلام نفسه نجده عند الزركشي (29) (ت 794) إذا استثنينا ما أضافه ابن القيم من إيضاح وتعليل ، غير أنهما يختلفان في الشواهد التي أورداها . ولا شك أنّ الزركشي اقتبس هذا من كلام ابن القيم - وهما من عصر واحد - فابن القيم

26 - ابن قيم الجوزية: الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان : دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع (1988) ص 82

27 - ورد هذا البيت في الخصائص لابن جني : 397/2 ولم يذكر قائله .

28 - ينظر الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ص 82-83

(ت: 751 هـ) سابق للزركشي (ت 794 هـ) بمدّة طويلة، وقد بدا الزركشي متأثراً به بل إننا نجد عبارات عديدة لابن القيم يردها الزركشي في البرهان.

هكذا يتناول ابن القيم مسألة ترتيب عناصر الجملة ووحداتها، وبين الغرض من تقديم بعضها على بعض، ويكشف عن العلاقات الحاصلة بين وحدات التركيب إثر كل ترتيب، وارتباط ذلك بقدرة المتكلم وملكته ضمن قواعد تغيير الجملة كما في منهج بلومفيلد في تحليل الجملة إلى مكونات مباشرة من الأعلى إلى الأسفل، وهو الشيء نفسه الذي فعله هاريس في تحويله لكن من الأسفل إلى الأعلى.

في هذا المنهج التحويلي عند هاريس ثم عند تلميذه تشومسكي (Noam Chomsky) من بعده تظهر وظائف المورفيمات والعلاقات الموجودة بينها، وذلك عن طريق استبدال مورفيم بآخر أو إعادة ترتيب المورفيمات داخل التركيب، إذ تعرّف إلى العلاقات الأفقية بين هذه المورفيمات، وهو ما أشرنا إليه هنا. وإذا اعتبرنا الجملة، في ترتيبها الأصلي، أساساً وأصلاً كانت الجملة الناتجة عن التحويل فرعاً، وبهذا نجد لفكرة التحويل الهاريسي ما يسبقها في التراث النحوي العربي في قضية الأصل والفرع، والانتقال من أحدهما إلى الآخر وبهذا تتفرع عدة جمل عن الجملة الواحدة. أو نقول: عدّة صيغ شكلية تنطلق من فكرة أو معنى واحد. وهذا ما يتردد كثيراً لدى علماء الأصول، سواء أكان ذلك من خلال دراستهم للنصوص الشرعية بغية استنباط الأحكام الفقهية أم كان ذلك من خلال تفسيرهم لآي القرآن الكريم أم كان من خلال مباحثهم اللغوية والنحوية الخالصة التي تفرّدوا فيها بأرائهم القيّمة..

ولقد أشار كثير من علماء العربية إلى ما يعرف - في نظرية تشومسكي (Noam Chomsky) - بالبنية العميقة (deep structure) والبنية السطحية⁽³⁰⁾ ومن ذلك ما رآه ابن القيم في حديثه عن مسألة " ما يلزم فيه زيادة معنى وما يلزم لأمر يتعلق بالمتقدم، وما يكون تقديمه أحسن " فهذه المعاني ناتجة عن التحويل الذي يحدث في الجملة وهو ما يؤدي إلى وجود البنى السطحية التي يكون لها أكثر من معنى. وهنا نلاحظ عناية ابن القيم بالمعنى واتخاذها أساساً في دراسة التركيب

29 - البرهان في علوم القرآن : 3 / 233 وما بعدها .

30 - هذا ما تميز به تشومسكي عن أستاذه هاريس الذي سبقه في فكرة التحويل.

جانِب كلامه عن الأصل، أي البنية العميقة (deep structure) التي " ترتبط بالدلالات، أي أنّها تحدّد التفسير الدلالي للجمل الصحيحة نحويًا، أي أنّ المكوّن الدلالي هو الذي يميّز بين الجمل الصحيحة نحويًا والجمل غير الصحيحة." (31)

3- التحويل بحذف أحد عناصر الجملة:

الحذف في العربية مبنيّ على غرض يقتضيه وحاجة تستدعيه، ومنه الإيجاز الذي هو من خصائص هذه اللغة ، حتى إن بعض العلماء كان يرى البلاغة هي الإيجاز .

والحذف كما قال الجرجاني (Abdul Qahir Al-Jorjani): " باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ، عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذّكر أفصح من الذّكر، فالصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتحدك ألطف ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون إبانًا إذا لم تن، وهذه جملة قد تنكرها حتى تحبر، وتدفعها حتى تنظر.." (32)

كما أنّ الحذف درجات ومراتب، وقد جعله بعضهم في طبقات خمس: حذف يكتفى فيه ببعض الألفاظ التي لا تكون جملة؛ وحذف يكتفى فيه ببعض الألفاظ التي لا تستغني عن غيرها مثل (لا، كأن، قد) وحذف يكتفى فيه ببعض الحروف الهجائية كالفافية؛ وحذف يستغني فيه تماما عن الألفاظ ويكتفى بالحركات الجسمية و غيرها كالإشارة ؛ فالخامس حذف الإضراب وهو الذي تعطلّ فيه جميع أصناف الدلالات فيتدرّج عبر الطبقات المذكورة إلى أن يزول كل شيء وتبقى المعاني عارية... (33)

والحذف في النظرية التحويلية التوليدية(34) أحد عناصر التحويل نقيضا للزيادة، "فكما أنّ الزيادة هي أية زيادة على الجملة التوليدية النواة ، لتحويلها إلى جملة تحويلية لغرض في المعنى، فإن الحذف يعني أي نقص في الجملة النواة التوليدية الاسمية أو الفعلية لغرض في المعنى وتبقى الجملة تحمل معنى يحسن السكوت عليه ، وتحمل اسمها الذي كان لها قبل أن يجري عليها التحويل ." (35)

ومّا يدخل ضمن التحويل بالزيادة استعمال أدوات الربط بين الكلمات والجمل فإنّ " الجمل النواة – الأساسية –

تصاغ من وجهة نظر تشومسكي (Noam Chomsky) في جملة تحويلية مشتقة واحدة من خلال استخدام أدوات الربط

31 - جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية: ترجمة وتعليق. د/حلمي خليل. دار المعرفة الجامعية . القاهرة (1995). 160.

32 - الجرجاني : دلائل الإعجاز - طبعة الأونيس - المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية - الجزائر (1991م) ص 149.

33 - محمد الصغير بناني : النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين- ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر (1994 م) ص 272.

34 - مصطلح: التوليد يطلق عليه الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح مصطلح: التفريع وقد استعمل الدكتور محمود أحمد نخلة هذا المصطلح مع مصطلح مرادف له هو (الإدماج) كما استعمل مصطلح التوليد أيضا (ينظر نظام الجملة في المعلقات العشر: 215).

35 - في نحو اللغة وتراكيبها - منهج وتطبيق - 134

والتحويل، مثل (الواو، لو، أن، كما، اللام، ... إلخ). فهذه الأدوات الكثيرة تستطيع أن تصوغ جملة تحويلية شرطية طويلة وتوظف الذاكرة وتجعلها أكثر عملا وتنبها كما هو الأمر في الجملة التالية: (ولو أننا أدبنا في كل مكان نشغله هذا الواجب كما يجب أن يؤدي بدقّة وأمانة لاجتازنا كثيرا من العقبات التي تقف في طريقنا.) " فهذه جملة تحويلية طويلة، وطريقة التحويل فيها هي تلك الأدوات المتنوعة التي تستعمل للربط بين أجزائها وتغيّر من طريقة صياغتها. وهذا التغيير - كما نرى - يمسّ الجانب: الصوتي والنحوي والدلالي معا. " (36)

ويفرّق تشومسكي (Noam Chomsky) بين نوعين من التحويلات : تحويلات إجبارية لا تكون الجملة (نحوية) إلاّ بما كقاعدة المطابقة في العدد ... وتحويلات اختيارية يمكن أن تكون الجملة (نحوية) بدونها كتحويل المبني للمجهول والاستفهام والنفي... (37)

وعند ابن القيم نجد قضية الحذف تحظى بعناية كبيرة إذ يناقش ذكر المفعولين في الجملة من قوله تعالى { إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ } [الكوثر/1] وحذفه في قوله تعالى { فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ } [الليل/5] وذكر أحدهما في قوله تعالى { وَلَسَوْفَ يَعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى } [الضحى/4] فيقول في ذلك: " فعل الإعطاء فعل مدح، لفظه دليل على أنّ المفعول المعطى قد ناله عطاء المعطى. والإعطاء إحسان ونفع وبر، فجاز ذكر المفعولين (في الآية الأولى) وحذفهما (في الآية الثانية) والاقتران على أحدهما بحسب الغرض المطلوب من الفعل (في الآية الثالثة). " (38)

فذكر المفعول، وهو أحد أركان الجملة الفعلية، كان لغرض مقصود وهو إخبار الرسول صل الله عليه وسلم بما أعطاه ربّه. وحذف هذا المفعول كان أيضا لغرض ومعنى مراد، وهو الحث على الإعطاء الذي يبعد العبد عن البخل والشحّ والمنع المناهض للإحسان. ومن جهة أخرى لما كان الخالق متفردا بالإعطاء والمنع لم يكن لذكر المعطى ولا المعطى معنى، بل المقصود أنّ حقيقة الإعطاء والمنع إليك وحدك لا إلى غيرك. بل أنت المتفرد بها، لا يشركك فيها أحد فذكر المفعولين هنا يخلّ بالمعنى وبلاغته... (39)

36 - مجلة عالم الفكر : مجلّة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-دولة الكويت/ مجلد: 22- عدد: 3 و 4 / من يناير إلى يونيو 1994م. ص 177.

37 - محمود أحمد نخلة : نظام الجملة في شعر المعلقات - دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية (1991م) ص 54.

38 - ابن القيم: التفسير القيم : 414

39 - المصدر نفسه: 414 - 415

فالجملة كاملة بذكر المفعول أو المفعولين وهي جملة نواة توليدية (اسمية في الأولى والثانية ، وفعلية في الثالثة). و لما حذف هذا الركن (المفعول به) تحولت إلى جملة تحويلية اسمية وفعلية. وفي مقابل الحذف في الجملة هناك الزيادة .

والزيادة التي نقصدها هنا هي التي تضيف شيئاً جديداً للكلام الأصلي ، وهي نوعان : الأول ما يسمّى بـ"التوسيعات النحوية" والثاني ما يسمّى بـ"التنويحات الدلالية" ، فعندما يلفظ الطفل عبارة : (الكلب ينبح) إن كان الرّدّ عليه بعبارة : (نعم ، الكلب ينبح) فإنّ عبارة الرّدّ تشكّل توسيعاً نحويّاً ، أمّا إذا كان الرّدّ عليه بعبارة : (نعم ، إنّه غاضب من الهرّ) فإنّ عبارة الرّدّ هذه تشكّل تنويحاً دلاليّاً. " (40)

فالزيادة الأولى ما هي إلاّ توسيع للجملة النواة من الناحية النحوية فقط دون المعنى ، أمّا الزيادة الثانية فتضيف معنى جديداً على الجملة النواة وتعطيها دلالة إضافية . وقد أشار ابن القيم إلى مثل هذا - أثناء كلامه عن التقديم والتأخير - عندما تكلم عن التحويل الذي تنشأ عنه زيادة في المعنى . والتحويل الذي لا يزيد المعنى شيئاً . والتحويل الذي يفسد المعنى . مع أنه لم يستعمل مصطلح التحويل هنا . إلاّ أنه ذكر ما يدلّ عليه التقديم والتأخير والزيادة والحذف ..

4- التحويل بنبابة المضاف عن المضاف إليه:

ومن عناصر التحويل في اللغة العربية : حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مكانه ، ومن الشواهد التي يذكرها ابن القيم لذلك قوله تعالى { ولله على الناس حج البيت } [آل عمران /97] أي (معرفة حج البيت) وقوله تعالى { كتب عليكم الصيام } [البقرة/8] (أي معرفة الصيام) لكن هذا لا يكون دائماً لأنه كما قال: " إذا فتح هذا الباب فسد التخاطب وتعطلت الأدلة ، وإمّا يضمّر المضاف حيث يتعيّن ولا يصحّ الكلام إلاّ بتقديره للضرورة. كما إذا قلت : (أكلت الشاة) فإنّ المفهوم من ذلك : أكلت لحمها ، فحذف المضاف لا يلبس .. ونظائره كثيرة.. " (41) فحذف المضاف عنده ضروري في بعض المواضع ، إذ لا يكون الكلام صحيحاً إلاّ بحذفه ليفهم المعنى المراد حقيقة . وهذا نوع من التحويل عن طريق الحذف وقع في هذه الجمل (الآيات).

ومّا يلفت النظر هنا كلامه عن جواز اعتبار المضاف محذوفاً، أو اعتبار الجملة من دون حذف، وذلك في قوله تعالى { واسأل القرية } [يوسف/82] إذ يقول ابن القيم: " .فإنّ القرية اسم للسكان في مسكن مجتمع ، فإنما تطلق القرية باعتبار

40 - مارك ريشل: اكتساب اللغة . ترجمة د/كمال بكداش : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع- بيروت -لبنان/ ط.1 (1404هـ- 1984م). 103 وما بعدها..

41 - بدائع الفوائد : 21/3

الأمرين. كالكأس لما فيه من الشراب. ثم إنهم لكثرة استعمالهم لهذه اللفظة ودورانها في كلامهم أطلقوها على السكان تارة وعلى المسكن تارة، بحسب سياق الكلام وبساطه وإنما يفعلون هذا حيث لا لبس فيه ولا إضمار في ذلك ولا حذف. (42) فلفظ القرية في هذه الآية وما كان مثلها، إن كان المراد به السكان - وهو كذلك في أكثر القرآن - فلا مجاز ولا حذف. وإن كان المراد به المسكن فعلى تقدير حذف المضاف (أهل أو سكان) وإقامة المضاف إليه (القرية) مكانه. وهنا يوجد مجاز وحذف لأحد العناصر لغرض متعلق بالمعنى ينتج عنه جملة تحويلية فعلية.

5- التحويل بتنوع دلالة المصدر :

يقول تشومسكي (Noam Chomsky) في ارتباط النحو بالدلالة في الجملة : " .. فمن أجل أن نفهم جملة ما، من الضروري أن نعرف جمل النواة التي اشتقت منها هذه الجملة، وبنية العبارة وكذلك التاريخ التحويلي للجملة التي نحن بصددنا وتطورها عن جمل النواة هذه.. " (43)

فقد أشار إلى فهم الجملة التحويلية ودلالاتها. وشرط ذلك هو معرفة الجملة النواة وكيفية بنية العبارة، أي: نظام التركيب. و زاد على ذلك التاريخ التحويلي للجملة، أي ما عرفته هذه الجملة من التحويلات حين استعمالها. وفي هذا إشارة إلى دلالة الجملة وما تؤدّيه من معنى، إلى جانب كونها جملة نحوية لها دلالتها. فهي سليمة من حيث الشكل وسليمة من حيث المعنى. وكان تشومسكي (Noam Chomsky) - في بداية نظريته - قد أهمل المكوّن الدلالي في تحليله اللغوي الذي اعتمد عليه إذ كان " تحليلاً شكلياً لا يعطي المعنى أو الدلالة الأهمية التي يستحقها غير أنه لم يستمر طويلاً إذ عاد ليؤكد أهمية المعنى ودوره في التحليل. " (44)

ولدينا ههنا أحد أشكال التحويل نفهمه من قول ابن القيم عندما يرى أن المصدر المؤول (المتكون من أن والفعل) " يدل على مجرد معنى الحدث دون احتمال معنى زائد عليه ... أمّا المصدر الصريح (المفرد) كما إذا قلت : (كرهت خروجك وأعجبني قدومك) فقد احتمل الكلام معاني: منها أن يكون نفس القدوم هو المعجب لك دون صفة من صفاته وهيئات..

42 - المصدر نفسه : 3 / 21-22

43 - البنى النحوية : 123

44 - نظرية تشومسكي اللغوية . 159

واحتتمل أيضا أنك تريد أنه أعجبك سرعته أو بطؤه (أي القدوم) أوحالة من حالاته ، فإذا قلت : (أعجبنى أن قدمت
(كانت (أن) على الفعل بمنزلة الطابع⁽⁴⁵⁾ والصواب من عوارض الإجماليات المتصورة في الأذهان. " (46)

نلاحظ ظاهرة التحويل بادية في كلام ابن القيم عند كلامه عن تغيير المصدر بين مؤول وصريح وما ينتج من معنى إثر
كل تغيير إذ " يمكن لوصف المعنى أن يستفيد من الإطار النحوي له. " (47)

وهذا التحويل كثير في التراث العربي منذ عهد سيبويه (Sebawayh) ، وعند علماء الأصول على الخصوص فهم
يركزون كثيرا على المعنى. وهذه القضية (أي: فهم المعنى على الرغم مما وقع من حذف في الجملة التحويلية الثانية) أعجبنى
قدومك : أعجبنى قرب قدومك) تدخل ضمن الكفاءة اللغوية لمستعمل اللغة، إذ إنها جزء من معرفته الضمنية، وتدخل فيما
يسمى بالحدس اللغوي الذي يوليه تشومسكي (Noam Chomsky) أهمية كبيرة فهو " يحدد موضوع النظرية اللغوية
بالإنسان المتكلم المستمع السويّ التابع لبيئة لغوية متجانسة تماما والذي يعرف جيدا لغته. " (48)

نستطيع أن نتبين من هذه الأمثلة أهمية الدراسة النحوية التركيبية عند علماء العربية من النحاة والبلاغيين والمفسرين
وعلماء الأصول، على ما هناك من تنوع في البحث ومناهجه. غير أنّ الثابت هو عنايتهم جميعاً بالجانب التركيبي والجانب
الدلالي بمختلف تفريعاته بحيث تبني هذه الدراسة عندهم على العلاقات القائمة بين الوحدات داخل التركيب، ولا تقتصر
على النظر فيها منعزلة. ثمّ إنهم ينطلقون في دراسة التراكيب من المعنى، أي أنهم يجعلون المستوى النحوي - سواء في إطاره
الإعرابي أم في إطاره التركيبي الشامل - مجالاً لدراسة اللغة واستنباط المعاني المستفادة..

ختاماً ، نقول:

إنّ جهود علماء الأصول في الدرس اللغوي عموماً، وفي الدرس النحوي على الخصوص لجديرة بالنظر والتأمل لاستثمار
ما فيها من الأفكار المهمة واستكشاف ما تنطوي عليه من الآراء القيّمة..

ومن عناية علماء العربية بالمعاني والمقاصد نستطيع القول إنهم في دراستهم للمستوى التركيبي ربطوا بين التراكيب
والمكونات الدلالية فيها لأنه لا فصل بينهما في عملية التواصل، ذلك أن كل صورة تركيبية هي انعكاس لما يريد المتكلم، وبهذا

45 - جاء في البدائع : "الطابع" (وهذه الكلمة لا تؤدي المعنى الذي يعبر عنه المؤلف.)

46 - بدائع الفوائد: 77-76/1

47 - البنى النحوية : 140

48 - ميشال زكريا: الألسنية - علم اللغة الحديث - مبادئها وأعلامها : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع (1983) ص 156

تتباين الأنماط التعبيرية تبعاً لتباين الأغراض والمقاصد.. وهو ما يميز نظرية النحو العربي التي اكتملت مكوناتها عن نظرية تشومسكي (Noam Chomsky) التي ظهر كثير من نقائصها على محك النقد والتجربة فتعرضت للنقد واحتاجت إلى الإتمام.. وهذا من شأنه أن يبين قيمة الدراسات النحوية العربية في مجال الدلالة، مما يقف شاهداً على ما وصل إليه الفكر النحوي العربي من رقي فكري سبق به زمانه القديم. ولا يزال مستغنياً ومضاهياً لأحدث النظريات اللغوية والنحوية في عصرنا الحالي.

Kaynakça

- ‘Amâyira, Halîl Ahmed. **Fî Nahvi’l-Lüğa ve Terâkîbuhâ**, Cidde, 1984.
- Atîk, Abdulaziz. **el-Medhal ilâ ‘İlmî’n-Nahvi ve’s-Sarf**, yy, 1990
- Bennânî, Muhammed es-Sağîr. **en-Nazariyyâtu’l-Lisâniyye ve’l-Belâğîyye ve’l-Edebiyye ‘İnda’l-Câhîz**, yy, 1994.
- el-Cevziyye, İbnu’l-Kayyim. **Bedâi’u’l-Fevâid**, Cidde, ty.
- Chomsky, Noam. **Syntactic Structures**, 1957, Paris.
- Cürcânî, Abdülkâhir. **Esrâru’l-Belâğa**, (thk. Muhammed Abdülmün‘im Hafâcî, Mektebetü’l-Kâhire, yy, 1979.
- **Delâilu’l-‘İcâz**, Cezayir, 1991.
- er-Râcihî, ‘Abde. **En-Nahvu’l- ‘Arabî ve’d-Dersu’l-Hadîs**, Beyrut, 1979.
- Hüseyn, Abdulkadir. **Eseru’n-Nühât fi’l-Bahsi’l-Belâğî**, Kahire, ty.
- İbn Cinnî, **el-Hasâis**, (Thk. Muhammed Ali en-Neccâr), Kahire, ty,
- İbnu’l-Kayyim, et-Tefsîru’l-Kayyim, Beyrut, ty.
- Jean Dubois et autres, **Dictionnaire de Linguistique**, 2001.
- Lyons, John. **Nazariyyetu Chomsky el-Lüğaviyye**, (Trc. Hilmi Halil), Kahire, 1995.
- el-Mahzûmî, Mehdî. **Fî’n-Nahvi’l- ‘Arabî -Kavâ‘id ve Tatbîk-**, Dâru’r-Râid, 1986.
- Medkûr, ‘Atîf. **‘İlmu’l-Lüğa Beyne’l-Kadîm ve’l-Hadîs**, yy, 1986.
- Monan, George. **‘İlmu’l-Lüğa fi’l-Karnî’l-‘İşrîn**, (Trc. Necip Gazâvî), Suriye, 1982.
- Muhammed el-Mübârek, **Fıkhü’l-Lüğa ve Hasâisu’l-‘Arabiyye**, Dâru’l-Fikr, yy, 1981.
- Nahle, Ahmed Mahmud. **Nizâmu’l-Cümleti fi Şi’ri’l-Mu‘allakât**, İskenderiye, 1991.
- Richel, Mark. **İktisâbu’l-Lüğa**, (Trc. Kemal Bekdaş) Beyrut, ty.
- Sîbeveyh, **el-Kitâb**, (Thk. Abdusselam Harun), Kahire, 1988.

Zekeriyya, Micheal. **el-Elsiniyye –‘İlmu’l-Lüğa el-Hadîs- Mebâdiuha ve A‘lâmuhe**, Beyrut, ty.

ez-Zerkeşî, **el-Burhân fî ‘İlmi’l-Kur’an**, (Thk. Muhammed Ebu’l-Fadl İbrahim), Beyrut, ty.